ذكر بعض الأنصار
شكرًا لنعمة الله الغفار

مـــا زلتُ مذ أُمِرتُ من حضرة الرب، وأُحييت من الحي ذي العجب، أَحِنّ إلى عيان أنصار الدين، ولا حنينَ العطشان إلى الماء المعـــين. وكنـــت أصـــرخ في ليـــلي ونهاري، وأقول يا ربّ من أنصاري؟ يا رب من أنصاري؟ إني فرد مهين.

فلما تواتر رفع يد الدعوات، وامتلأ منه جوّ السماوات، أجيب تضرعي، وفارت رحمة رب العالمين. فأعطاني ربي صديقا صدوقا، هـــو عين أعواني، وخالصة خُلصاني، وسلالة أحبائي[1] في الدين

[1] **حاشـــية**: ومـــن الأحـــباء في الله منشي زين الدين محمد إبراهيم بمبئ، والمولوي غلام إمام منيبوري، وحبي في الله المولوي غلام حسن بشاوري، ومحيي الدين الشريف تونتي كورن، والسردار محمد ولايت خان المدراسي، وحـــبي في الله السيد النجيب المولوي محمد أحسن، وحبي في الله المولوي عبدالكريم السيالكوتي- سلمه الله - الذي أيدني وأَمدّني في ترجمة مكتوبي هـــذا وهـــو من المحبين المخلصين، وهو في هذه الأيام عندي. كان لهوى ملاقاتي واستحسان مقاماتي أرغبَ في الاغتراب واستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب، فجزاه الله وثبّتـــه على سبيل الصـــدق والصواب،⇦ ⇦ورحمه وهو خير الراحمين. ومنهم ميرزا خدا بخش وهو في هذه الأيام

المـــتين. اسمـــه كصفاته النورانية **نور الدين**. هو بَهيرَوي مولدًا، وقُرَشـــي فـــاروقي نســـبًا، من سادة الإسلام ومن ذرية النجيبين الطيـــبين. فوصـــلتُ بوصوله إلى الجَذْل المفروق، واستبشرت به كاستبشار السيد (ﷺ) **بالفاروق**، ولقد أُنسيتُ أحزاني، مذ جاءني ولقّاني، ووجدته في سبل نصرة الدين من السابقين. وما نفعني مال

عندي. شاب صالح مخلص، شرح الله صدره لحبي، وأترع ذيله من ثمرات الإخـــلاص، وثبـــته مـــع الثابتين. ومنهم حبي في الله الحكيم فضل الدين البهيروي، وحبي في الله الشيخ رحمة الله الـــگـــجراتي، وحبي في الله السيد أمـــير عـــلي شـــاه، والسيد حامد شاه. وحبي في الله المنشي غلام القادر المعروف بالفصيح السيالكوتي. وحبي في الله النواب محمد علي خان رئيس مالير كوتله، وحبي في الله السيد محمد تفضل حسين أتاوي، وحبي في الله السيد الهادي، وحبي في الله محمد خان، والمنشي محمد أرورا، والمنشي ظفر أحمد كفورتلوي، وحبي في الله المولوي محمد مردان علي، والمولوي محمد مظهر علي حيدرآبادي، وحبي في الله المولوي برهان الدين الجهلمي، وحبي في الله مـــير ناصـــر نـــواب الدهلوي، وحبي في الله القاضي ضياء الدين قاضيكوتي، وحبي في الله المولوي السيد محمد عسكري خان، وحبي في الله القاضي غلام المرتضى، وحبي في الله عبد الحكيم خان، وحبي في الله رشيد الديـــن خان، وحبي في الله السيد خصلت علي شاه، وحبي في الله المنشي رستم علي، وحبي المنشي عبد الله السنوري، والميرزا محمد يوسف بيـــگ الســـامانوي، والمنشـــي محمد حسين المراد آبادي، والقاضي خواجة علي اللدهـــيانوي. هؤلاء من أحبائي. منهم من قصصنا ومنهم من لم نقصص، وكلهم من المخلصين.

أحد كماله الذي آتاه لوجه الله، ويؤتي من سنين. قد سبق الأقران في البراعة والتبرع والجدوى، ومع ذلك حلمه أرسخ من رَضوى. نــبَذ العُلَقَ لله تعالى، وجعل كل اهتشاشه في كلام رب العالمين. رأيــت الــبذلَ شِــرْعتَه، والعلم نُجْعتَه، والحلم سيرته، والتوكل قوتــه، ومــا رأيت مثله عالمًا في العالمين، ولا في خُلقٍ مِمْلاقٍ من المــنعمين، ولا في الله ولله من المنفقين. وما رأيت **عبقريًا** مثله مذ كنت من المبصرين.

ولما جاءني ولاقاني ووقع نظري عليه، رأيته آيةً من آيات ربي، وأيقنت أنه دُعائي الذي كنت أداوم عليه، وأُشْرِبَ حسّي ونبّأني حَدَســي أنــه مــن عباد الله المنتخبين. وكنت أكره مدح الناس وحمدهم وبثَّ شمائلهم، خوفًا من أنه يضر أنفسهم، ولكنني أرى أنــه مــن الذيــن انكسرت جذباتهم النفسية، وأزيلت شهواتهم الطبعية، وكان من الآمنين.

ومــن آيــات كمالــه أنه لما رأى جروح الإسلام، ووجده كالغريب المستهام، أو كشجر أُزعجَ من المقام، أشعرَ همًّا، وانكدر عيشه غمًّا، وقام لنصرة الدين كالمضطرين. وصنف كتبًا احتوت عــلى إفــادة المعاني الوافرة، وانطوت على الدقائق المتكاثرة، ولم يسمع مثلها في كتب الأولين. عباراتها مع رعاية الإيجاز مملوّة من الفصاحة، وألفاظها في نهاية الرشاقة والملاحة، تسقي شرابًا طهورًا

للـــناظرين. ومثل كتبه كحرير يضمَّخ بعبير، ثم يُلَفّ فيه من درر ويواقيتَ ومسك كثير، ثم يُرتَن فيه العنبر ويجعل كله كالعجين.

ولا شـــك أنها جامعة ما تفرق في غيرها من الفوائد، فاقت ما عداهـــا لكـــثرة ما حواها من الشوارد والزوائد، ولجذب القلوب بحـــبال الأدلة والبراهين. طوبى لمن حصّلها وعرفها وقرأها بإمعان النظر.. فلا يجد مثلها من معين. ومن أراد حلَّ غوامض التنـــزيل، واستعلامَ أسرار كتاب الرب الجليل، فعليه بالاشتغال بهذه الكتب وبـــالعكوف علـــيها، فإنها كافلة بما يبغيه الطالب الذهين. يُصبي القلـــوب أَريجُ ريحانها، والثمرات مستكثرة في أغصانها، ولا شك أنهـــا جنة قُطوفها دانية، لا يُسمَع فيها لاغية، نُزُلٌ للطيّبين. منها: "فصل الخطاب لقضايا أهل الكتاب"، ومنها: "تصديق البراهين". تناسَـــقَ فـــيها جزيل المعاني مع متانة الألفاظ ولطافة المباني، حتى صارت أسوة حسنة للمؤلفين، ويتمنى المتكلمون أن ينسجوا على مـــنوالها، وترنمت بالثناء عليها ألسنة النحْريرين. جواهرها تفوق جواهر النحور، ودررها فاقت درر البحور، وإنها أحسم دليل على كمالاتـــه، وأقطع برهان على ريّـــا نفحاته، وستعلمون نبأها بعد حين.

قد شمر المؤلف الفاضل فيها لتفسير نكات القرآن عن ساق الجِدِّ والعـــناية، واعتنى في تحقيقه باتفاق الرواية والدراية، فواهًا لهممه

العالية، وأفكاره الوقّادة المَرضية، فهو فخر المسلمين. ولـــه ملكة عجيبة في استخراج دقائق القرآن، وبثّ كنوز حقائق الفرقان، ولا شـــك أنه ينوَّر من أنوار مشكاة النبوة، ويأخذ نورًا من نور النبي ﷺ بمناســـبة شـــأن الفـــتوة، وطهارة الطين. امرؤ عجيب، وفتى غريب، تتفجر أنهار أنوار الأسرار بلمحة من لمحاته، وتتدفق مناهل الأفكار برَشْحةٍ من رشحاته، وهذا فضل الله يهب لمن يشاء وهو خير الواهبين.

لا ريب في أنه نخبة المتكلمين، وزبدة المؤلفين. يشرب الناس من عُـــباب زُلالـــه، ويُشترى كشرابٍ طَهورٍ قواريرُ مقاله، هو فخر الـــبَرَرة والخِيَرة وفخر المؤمنين. في قلبه أنوار ساطعة من اللطائف والدقـــائق، والمعارف والحقائق، والأسرار وأسرار الأسرار ولمعات الروحانـــيين. إذا تكلم بكلماته النظيفة الطيبة، وملفوظاته البديعة المـــرتجلة المبتكرة، فكأنه يصبي القلوب والأرواح بالأغاني اللطيفة، والمزامير الداوودية الذفيفة، ويجيء بخارق مبين. يخرج الحكمة من فمه عند سرد الحديث وسَوق الكلام، كأنها عُبُب مندفقة متوالية متصاعدة إلى أفواه السامعين.

وإني قـــد أطلقـــتُ أَجْرَدَ فكري إلى كمالاته، فوجدته وحيدَ الدهـــر في علومه وأعماله وبرّه وصدقاته، وأنه لَوْذَعِيٌّ أَلْمَـــعِيّ، نخبة البررة، وزبدة الخيرة. أعطي لـــه السخاء والمال، وعُلّقت به

الآمال، فهو سيد خَدَمِ الدين، وإني عليه من الغابطين. ينـــزل أهل الآمال بساحته، ويستنـــزلون الراحة من راحته، فلا يَلوي عِذارَه عمن ازداره، وأمَّ دارَه، وينفَـــح بعُرْفه من وافاه من المملقين.

وهـــو يجد للُقياني بكمال ميل الجنان، كوَجْدِ المثري بالعِقْيان، يـــأتي من بلاد نازحة على أقدام المحبة واليقين. فتى طيب القلب، يحبّنا ونحبّه، يسعى إلينا بجهد طاقة، ولو وجد فواقَ ناقة. انثال الله علـــيه من جوائز المجازاة، ووصائل الصلات، وأيد ببقائه الإسلام والمســـلمين. لـــه بقلبي عُلَقٌ عجيبة، وقلبه نَفوح غريبة. يختار في حـــبّي أنواع الملامة والتعنيف، ومفارقة المألف والأليف. ويتسنّى لـــــه هجر الوطن لسماع كلامي، ويدَعُ التذكر للمعاهد لحبّ مقـــامي، ويتـــبعني في كل أمري كما يتبع حركة النبض حركة التنفس، وأراه في رضائي كالفانين.

إذا سئل أعطى و لم يتباطأ، وإذا دعي إلى خطّة فهو أول الملبين. قلبه سليم، وخلقه عظيم. كرمه كغزارة السحب، وصحبته يُصلح قلوب المتقشفين. ووَثْبُه على أعداء الدين وثبة شبلٍ مثار، قد أمطر الأحجـــار على كفار، ونقّر عن مسائل الويديين ونقّب، ونزل في بقعـــة النَّوكى وعاقبَ، فجعل سافل أرضهم عاليَها، وثقّف كتبه تثقـــيف العوالي لإفضاح المكذبين. فأخزى الله الويديين على يده، فكأن وجوههم أُسفّتْ رمادا، وأُشربت سوادًا، وصاروا كالميتين.

ثم أرادوا الكـــرة، ولكن كيف يحيا الأموات بعد موتهم، فرجعوا كالمخفقين. ولو كان لهم نصيب من الحياء لما عادوا، ولكن صار الوقاحـــــة كالتحجـــيل في حِلْـــية هـــذا الجيل، فهم يصولون كمذبوحين.

والفاضـــل النبيل الموصوف من أحب أحبائي، وهو من الذين بايعوني وأخلصوا معي نية العقد، وأعطوني صفقة العهد، على أن لا يؤثروا شيئًا على الله الأحد، فوجدته من الذين يراعون عهودهم ويخافون رب العالمين. وهو في هذا الزمن الذي تتطاير فيه الشرور، كالمـــاء المعين الذي ينـــزل من السماء، ومن المغتنمين. ما آنستُ في قلب أحد محبةَ القرآن كما أرى قلبه مملوًّا بمودّة الفرقان. شغفه الفـــرقان حُبًّا، وفي ميسمه يبرُق حبُّ آيات مبين. يُقذَف في قلبه أنـــوار مـــن الله الرحمن، فيرى بها ما كان بعيدًا محتجبًا من دقائق القـــرآن، ويَغـــبِطني أكثر مآثره، وهذا رزق من الله، يرزق عباده كيف يشاء وهو خير الرازقين.

قد جعله الله من الذين ذوي الأيدي والأبصار، وأودع كلامه مـــن حـــلاوة وطـــلاوة لا يوجد في غيره من الأسفار. ولفطرته مناسبة تامة بكلام الرب الجليل، وكم من خزائن فيه أُودعتْ لهذا الفـــتى النبـــيل. وهذا فضل الله لا منازع له في أرزاقه، فمن عباده رجـــال ما أعطي لهم بُلالة، ورجال آخرون أعطي لهم غَمْر، وما

هـــم به من المتعللين. ولعمري إنه امرؤُ مواطنَ عظيمة، صدَق فيه قول من قال: "لكل علم رجال، ولكل ميدان أبطال"، وصدَق فيه قـــول قـــائل: "إن في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا". عافاه الله ورعاه، وأطال عمره في طاعته ورضاه، وجعله من المقبولين.

إني أرى الحكمـــة قـــد فاضت على شفتيه، وأنوار السماء قد نزلـــت لديه، وأرى تواتر نزولها عليه كالمتضيفين. كلما توجه إلى تـــأويل كتاب الله بجمع الأفكار، فتح ينابيع الأسرار، وفجر عيون اللطائف، وأظهر بدائع المعارف، التي كانت تحت الأستار، ودقّق ذرات الدقـــائق، ووصل إلى عروق الحقائق، وأتى بنور مبين. يمدّ العقـــلاءُ أعـــناقهم في وقـــت تقاريره متسلمين لإعجاز كلامه وعجائـــب تـــأثيره. يُري الحق كسبيكة الذهب، ويُزيح شبهاتِ المخالفين.

إن الوقـــت كـــان وقت صراصر الفلسفة، بل فسُد وخبُث، ومـــلمَلَ كلَّ حدثٍ ما حدَث، وكان العلماء معروق العظم صفر الرايحة من دولة العلوم الروحانية، وجواهر الأسرار الرحمانية، فقام هـــذا الفتى وسقط على أعداء الرسول ﷺ كسقوط الشهب على الشـــياطين. فهـــو كحدقة العيون في العلماء، وفي فَلك الحكمة كالشمس البيضاء. لا يخاف إلا الله، ولا يرضى بالآراء السطحية، التي منبَتها النَّجْد غيرُ خَوْر، بل يبلغ فهمه إلى أسرار دقيقة المآخذ

المخفية في أرض غَوْر. فللّه درّه، وعلى الله أجره. قد أعاد الله إليه دولـــة منهوبة، وهو من الموفقين. والحمد لله الذي وهب لنا هذا الحِبّ في حينه ووقته وأيام ضرورته، فنسأل الله تعالى أن يبارك في عمـــره وصـــحته وثروته، ويعطينا أوقاتا مستجابة للأدعية لـــه ولعشـــيرته، ويشـــهد فراستي أن هذه الاستجابة[1] أمر محقوق لا

[1] **حاشية**: اعلم أن استجابة الدعاء سر من أسرار حكمة ربانية خصص بها حـــزب الروحانيين. وقد جرت عادة الله أنه يسخر عالم المواليد وتأثيرات أجـــرام السماء وقلوب الناس عند دعوات أوليائه المقربين. فربما يستحيل الهواء الرديّ من عقد هممهم إلى صالحة طيبة، والصالحة إلى فاسدة وبائيّة، والقلـــوب القاسية إلى طبائع لينة متحننة، والمتحننةُ إلى قاسية غليظة، بإذن المتصـــرف في الســـماء والأرضين. وإذا اشتدت حاجة ولي الله إلى ظهور شـــيء معدوم، ويتوجه لظهوره باستغراق تام، فيحدث هذا الشيء بعقد همـــته، وكذلـــك إذا توجه الولي لإعدام الموجود فإذا هو من المعدومين. وذلك أصل الخـــوارق لا تحسها حاسة حكماء الظاهر، ولا يذوق طعمها عقـــول الفلسفيين. وإن للأولياء حواسا آخر تتنـــزل من تلقاء الحق. فإذا رزقوا من تلك الحواس فيتحلون بحلل مبتكرة، ويسمعون أغنية جديدة، ما سمعت أذن نظيرها في العالمين. يصفى عقولهم بكمال الصفاء، ويؤتون علم ذرائـــع الاستنبـــاط والاجتهاد. يُعجب العقولَ دقة غموضها، ويكفر⇦ ⇦ بهـــا كل غبي غير ذهين. وكان الله معهم في كل حالهم، وكانت يده عـــلى مهمـــاتهم وأفعالهم. إذا غلقوا بابًا في الأرض فتغلق في السماء، وإذا فتحوا فتفتح في الأفلاك. دارت السماوات بدورة عزيمتهم، وقلب الأمور

مظـــنون، ونحن في كل يوم من الآملين. والله إنّي أرى في كلامه شـــأنا جديـــدًا، وأراه في كشف أسرار التنـــزيل وفهم منطوقه ومفهومـــه مـــن الســـابقين. وإني أرى عـــلمه وحلمه كالجبلين المتناوحين.. ما أدري أيهما فاق الآخر، إنما هو بستان من بساتين الديـــن المـــتين. رب أنزل عليه بركات من السماء، واحفظه من شـــرور الأعـــداء، وكن معه حيثما كان، وارحم عليه في الدنيا والآخرة، وأنت أرحم الراحمين. آمين ثم آمين.

والحمـــد لله أولا وآخـــرا، وظاهرًا وباطنًا، هو وليي في الدنيا والآخـــرة. أنطقـــني روحه، وحركتني يده، فكتبت مكتوبي هذا بفضـــله وإيمائه وإلقائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو القادر في السماء والأرضين.

رب، كتبـــت هذا المكتوب بقوتك وحولك ونفحات إلهامك، فـــالحمد لـــك يـــا رب العالمين. أنت محسني ومنعمي، وناصري ومـــلهمي، ونـــور عيني، وسرور قلبي، وقوة إقدامي. أموت وأنا شـــاكر نعمائك بحالي وقالي وكلامي. يشكرك عظامي في قبري، وعَجـــاجي في جَدَثـــي، وروحي في السماء. غلبت نعمتك على شـــكري، واســـتغرقت في نعمـــائك عيني وأذني وجناني ورأسي

بتقلـــب هممهم، ويري الله خلقه عزتهم ووجاهتهم ليرغّب المتفطنين إليهم والسعيدين. منه.

وجوارحـــي وظاهري وباطني، وأنت لي حصن حصين. أعوذ بك مـــن آفـــات الأرض والسماء، ومن كل حاسد صوّاغٍ باللسان، وروّاغٍ من الحق العِيان، ومن كل لسانٍ سليط، وغيظٍ مستشيط، ومـــن كل ظلمة وظلام، ومن كل من يكون من المسيرة إليك من المانعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.